عن المخالفة فلم تخش تحديهم وعابى كل فلم يستطع احد من الفريقين
من الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل سورة
ان ياتي بمثل اية اوسورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة
منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلايل البعث
والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى.
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ **فهلا** هي في اصلها.
للتخصيص والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا
فيثبته لهذه ما للثالث فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
الاية فهي هنا للتوبيخ والتنديم فلذلك هلا هنا للتوبيخ من
يزعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد **تاتي بمثلها**
اي الاية والمراد بعضها المعتمد **البلغا** جمع بليغ والفرق بين الفصاحة
والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية
مطابقة الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى
الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم والمخاطب والمحكي من
تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف
بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام
البليغ غير محتاج الى تعسف او استمداد وافاد الناظم رحمه الله بهذا
ان البلغا فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحا والخطبا البلغا.
والشعرا الفهما في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والبيا
والرسا في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين
الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن

المعارضة

١٥١

المعارضة وعثار عقولهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك
اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش
كان اعلى اربهم ومنتهى طلبهم التفنن في ادب الفصاحة والتنزه
في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البراعة
فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبرا هين
رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا
وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزم لبعض
امره وتفريق اتباعه وزوال سكونه وحيازة مرتبته مع قدرتهم
عليها وطلبها منهم وقول اكابرهم وهو لا يزداد الا تعريفا لهم بعجزهم
حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني
افتريته لعلمي باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم يرو ذلك خطيب
ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده
ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد
ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعرا اصحابه وخطبا امته
قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد كان
صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله وقد قطع القول فيما اتى به من
عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة
واضحة من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك على انه لم يزل ينادي
عليهم بالعجز عن معارضته من ربه والا لم يقطع بشيء من ذلك
على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير
عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم يناويه
ولم يرفع راسه اليه ان يباريه بل رضيت هممهم السوية وانفسهم

Copyright © King Saud University